معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 18/ العدد 2 (ديسمبر 2023): ص.ص: 273-291

استراتيجيّات الحِجَاج في خطاب المرأة في القرآن الكريم

Argumentation strategies in female discourse in the Holy Quran

أحلام بالولي*

جامعة البويرة، مخبر قضايا الأدب المغاربيّ، الجزائر، balouli.a1990@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/08/13؛ تاريخ القبول: 2023/09/14؛ تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخّص:

تعدّدت الآليّات والوسائل الحجاجيّة (البلاغيّة، واللّغويّة، والمنطقيّة) الّتي اعتمدها الخطاب القرآنيّ، حيث أدّت دورا أساسيّا في جعله نصّا ذا بعد حجاجيّ يراعي أحوال المخاطبين على اختلافهم وكثرتهم.

وقد وجدتُ في بعض الآيات القرآنيّة الّتي استهدفت المرأةَ هذه التّقنيات الّتي شكّلت دافعا قويّا لدى المتلقّي من أجل التّمعّن في مضمون هذه الآيات البيّنات، كما اشتملت على روابط حجاجيّة أسهمت في انسجامها وائتلافها.

سأحاول في هذا المقال أن أبيّن استراتيجيّات الحجاج في خطاب المرأة في القرآن الكريم من خلال أنواع الحجاج الّتي منحت هذا الخطاب قوّة حجاجيّة، ولإبراز ذلك سأمثّل لكلّ نوع بآيات قرآنية.

الكلمات المفتاحيّة: الحجاج؛ خطاب المرأة؛ الروابط الحجاجيّة؛ الإقناع؛ الآليّات اللّغويّة؛ الآليّات البلاغيّة.

Abstract:

The Quranic speech has employed a multitude of argumentative methods (rhetorical, linguistical and logical) that played a fundamental

* المؤلف المرسل.

role making it an argumentative text which considerate the difference and abundance of people and their circumstances.

I found these methods in some Quranic verses that mentioned women, in addition to argumentative connectors which contributed to the harmony of these verses.

In this article, I'm trying to show the argumentation strategies in the verses that mentioned women.

Keywords: Argumentation; female discourse; argumentative links; persuasion; linguistic mechanisms; rhetorical mechanisms.

المقدمة:

لم يكن للمرأة قبل عهود مضت أيّ قيمة، فقد كانت منبوذة مُهانة خاضعة لسيطرة الرّجل في كلّ مراحل حياتها. ولكنّ الله سبحانه وتعالى أعاد لها اعتبارها ومكانتها اللّائقة، وكرّمها في كتابه العزيز بأنْ منحها جميع حقوقها المسلوبة من ميراث وتعليم وزواج... وحذّر من الاستهانة بها أو الازدراء منها أو الإساءة إليها؛ قال عزّ من قائل:﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾. الآية 6 من سورة الطّلاق.

وكذلك بيّن الله سبحانه أنّ الأنثى هِبة منه، فقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾الآية 49 من سورة الشّورى. وأكّد على أنّها شريكة للرّجل ومرافقة له، فقال: ﴿وأنّه خلق الزّوجين الذّكر والأنثى﴾الآية 45 من سورة النّجم، كما كلّفها هي والرّجل على حدّ سواء، وجعلهما متساويين في العقاب والثّواب، والدّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ الآية 97 من سورة النحل.

أخذ خطاب المرأة - وهو كلّ كلام جعله الله على لسانها يصدر عنها ، أو إليها، أو منها إلى غيرها من النساء- قسطا كبيرا من الخطابات القرآنيّة، إذ نجد آياتٍ قرآنيّةً استهدفت الأمّ، والأخت، والزوجة، والابنة، وسورا تضمّنت أحكاما خاصّة بالنّساء(سورة البقرة، سورة النّساء، سورة المجادلة، سورة الأحزاب...) وقد اشتمل خطاب المرأة في القرآن الكريم على أغراض مختلفة تفهم حسب سياقات الخطاب منها: (خطاب العتاب، وخطاب التبرئة،

وخطاب التّجريم، وخطاب النّصح، وخطاب التّشريف، وخطاب الأمر...)، كما تميّز بخصائص لغويّة جعلت منه نصّا حجاجيّا له استراتيجيّاته المختلفة.

انطلاقا من ذلك، يمكن أن نطرح الإشكاليّات التّالية: كيف يتجلّى الحجاج بأنواعه في خطاب المرأة في القرآن الكريم؟ وما هي استراتيجيّاته؟

1- الحجاج: مفهومه، ونشأته

1.1- المفهوم لغة

إذا عدنا إلى المعاجم العربيّة قديمِها وحديثها فإنّنا نجد مايلي:

• جاء في لسان العرب لابن منظور «يقال: حاججته، أحاجه حجاجا حتى حججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها(...) والحجّة: البرهان وقيل: الحجّة: ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج أي جدِل. وفي الحديث: فحجّ آدم موسى: أي غلبه بالحجّة»[1]. والملاحظ من هذا التّعريف أنّ ابن منظور يربط الحجّة بالبرهان والخصومة والجدال، وبهذا فإنّ الخصومة والجدال يستوجبان وجود طرفين متخاصمين أو أكثر، يحاول كلّ واحد منهم الإتيان بالدّليل والبرهان والحجّة من أجل إفحام الطّرف الآخر والفوز عليه بتأكيد صحّة دعواه.

• ورد في المنجد في اللّغة والأدب والعلوم للويس معلوف: «حاجّ حِجاجًا ومُحاجّةً حاجّه: خاصمه فحجّه، تحاجّا: تخاصَمَا. احتجّ: ادّعى وأتى بالحجّة، واحتجّ بالشّيء: جعله حجّة وعُذرًا له. استحجّ: طلبَ الحجّةَ وأبداها، الحجّة ج حُجَج وحِجَاج: البرهان.»[2]يتّفق هذا التّعريف مع تعريف ابن منظور في ارتباط الحجاج بالخصومة وهذا يستدعي طرفين متخاصمين وحججا من أجل البرهان.

• أمّا في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة لأحمد مختار عمر فنجد: «احتجّ عليه: أقام الحجّة والبرهان(...) تحاجّ تحاجًّا فهو متحاجّ، تحاجّ القوم: تجادلوا، تناظروا، تخاصموا مع بعضهم. حاجَّ الشّخصُ: أقام الحجّة والدّليل ليُثبت صحّة أمر، برهن بالحجّة والدّليل ليقنع

(1) محمّد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ج9، ط1، دار صادر، تح: عبد السلام محمّد هارون، بيروت،1997، ص779.

(2) لويس معلوف، المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ص118.

الآخرين.»[1] ويعني أنّ الحجاج تّجادل وتناظر وتّخاصم هدفه الإقناع.

2.1- اصطلاحا

يصعب تحديد مفهوم واحد لمصطلح الحجاج، كونه يتداخل مع الكثير من العلوم والفنون، منها البلاغة، والمنطق، والفلسفة... لذلك تعدّدت مفاهيمه وتفاوتت حسب كلّ مجال، فنتج عن ذلك نظريّة كان اهتمامها منصبّا على الوسائل والتّقنيّات الحجاجيّة الّتي تسعى إلى بناء خطاب حجاجيّ هدفه الإقناع بالدّرجة الأولى. ولقد أولاه اللّغويّون واللّسانيّون وكذلك الفلاسفة عنايةً كبيرة، فهو ميزة من مميّزات كلّ خطاب سواء كان سياسيّا أو دينيّا أو فلسفيّا... فقد صار نجاح عمليّة التواصل معلّقا بتوظيف المتكلِّم الحُججَ في خطابه. وتجدر الإشارة إلى أنّ موضوع الحجاج كان مدار اهتمام منذ القديم، ومن بين مفاهيمه المتعدّدة «مفهومٌ يجعله مرادفا للجدل ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة خاصة ونجده عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال) ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب وهو مفهوم أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السّابقين»[2]. لقد حصر القدماء الحجاج في مجال ضيّق هو الخطابة والجدل، ولكنّه أخذ فيما بعد يتخلّص من هذه القيود حيث صار مبحثا قائما بذاته مستقلا عن غيره من الفنون.

استمرّت اجتهادات اللّغويّين في البحث حول هذا المصطلح، ولا يفوت هنا أن نذكر أهمّ محاولة أخرجت الحجاج من دائرة الخطابة، وهي كتاب"مصنّف في الحجاج: البلاغة الجديدة " سنة 1958م للكاتبين بيرلمان (PERLEMAN) وتيتكا (TYTCA) حيث ذهبا إلى تسمية الحجاج بالبلاغة الجديدة والّتي « تهدف إلى دراسة التّقنيات الخطابيّة، وتسعى إلى إثارة النّفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتمّ البلاغة الجديدة أيضًا بالشّروط الّتي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب»[3]. ورغم أنّ هذه البلاغة الجديدة قد سعت إلى البحث في كلّ الوسائل الّتي تساعد في إقناع المتلقّين والتّأثير فيهم باستهداف عقولهم، إلّا أنّه لا يمكن أن ننكر أنّها امتداد لبلاغة أرسطو كونها موجّهة إلى جمهور السّامعين بغرض الإقناع

(1) أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، ط1، القاهرة، 2008، مج1، ص445.

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، ط1، منشورات كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، تونس، 2001، ص8.

(3) صابر الحباشة، التّداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص، ط1، صفحات للدّراسات والنّشر، دمشق، 2008، ص15.

والتّأثير أيضًا. وأضاف كلّ من بيرلمان وتيتكا أمرا مهمّا للحجاج، فأسقطا عن الخطابة تهمة المغالطة و التّلاعب بجمهور السّامعين واعتبراها «مدار محاورة (DIALOGUE) يقاسم فيها الخطيب جمهوره أرضيّة تفاهم واحدة و مقدّمات ومنطلقات واحدة في الحجاج»[1]. فكانت غاية الحجاج عندهما جعل عقل المتلقّي يتفاعل مع ما يُعرض عليه من أفكار وآراء وينساق وراءها فيقتنع بها؛ وهذا ما نجده في قولهما إنّ الحجاج يدرس « تقنيات الخطاب الّتي تدفع بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من آراء»[2]. وفي صدد وصفه لهذا الخطاب يقول بيرلمان: «يتعلق بأي نوع من الجمهور، سواء كان حشدًا متجمعًا في الساحة العامة أو اجتماعًا للمتخصصين. سواء كانت موجهة إلى فرد واحد أو إلى البشرية جمعاء، حتى أنها ستدرس الحجج التي نخاطب أنفسنا بها، خلال أشدّ المحادثات خصوصيّة ...إن نظرية الحجاج التي يتم تصويرها على أنها بلاغة جديدة تغطي كل شيء يهدف إليه مجال الخطاب لإقناع الجمهور الذي يتم توجيه الخطاب إليه، ومهما كان الموضوع الذي يتعلق به..»[3] أمّا بلونتين (CHRISTIAN PLANTIN) فيرى أنّ الحجاج « عمليّة يسعى من خلالها المتكلّم إلى تغيير نظام المعتقدات والتّصوّرات لدى المخاطب عن طريق الوسائل اللّغويّة»[4].

ووضع ديكرو (O. DUCROT) نظريّة تهتمّ بالوسائل اللّغويّة الّتي يوظّفها المتكلّم لإنشاء خطاب ليس من أجل الإخبار والإعلام، إنّما للتّأثير والإقناع، خطاب «يمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة، ثمّ إنّها تنطلق من الفكرة الّتي مؤدّاها: أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير. هذه النّظريّة تبيّن أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتيّة وجوهريّة (INTRINSEQUE) وظيفة حجاجيّة.»[5] ويعني أنّ كلّ كلام يمكن اعتباره حجاجًا.

2- أنواع الخطاب الموجّه للمرأة في القرآن الكريم:

كما سبق ذكره، فإنّ الله عزّ وجلّ قد ذكر المرأة في القرآن الكريم بكلّ أدوارها في هذه الحياة: أُمّا، وزوجة، وأختا، وابنة؛ وبكلّ حالاتها الاجتماعيّة: مطلّقة، ومتزوّجة، وعزباء،

(1)عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، ص30.
(2)Chaim Perelman et Lucie Olbrechts tyteca , Traité de l’argumentation, 5ème édition,1992, p5.
(3)Chaim Perelman, l’empire rhétorique : rhétorique et argumentation, 2ème édition, Paris, 2002, p21.
(4)Christian Plantin, Essais sur l’argumentation : Introduction linguistique à l’étude de la parole argumentative, édition Kime,1990, p146.
(5)أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطّبع، 2006، ص14.

وأرملة. خاطبها «كإنسان. كشريك في تكوين النّسيج الاجتماعيّ ... وخاطبها مباشرة بما يخصّ من تشريعات، وهي خطابات ثابتة ومدوّنة وخالدة بخلود الكتاب الكريم، ولم يهملها أو يتجاهلها إطلاقا»[1]. لقد منحها الله تعالى المكانة الّتي لم تنلها في السّابق، وردّ لها اعتبارها فسارت مع الرّجل جنبا إلى جنب، في الدّعوة والجهاد وبناء المجتمع عبر قرون من الزّمن، حتّى أضحت تشترك معه في كثير من الحقوق والواجبات والوظائف والمهن، «تشترك في التّمثيل السّياسيّ، والإدارة، والقضاء، والتّعليم، والمحاماة، ومعاونة الحاكم، وإبداء الرّأي والشّورى، وغير ذلك في حدود الطّاعة لله»[2].

تجدر الإشارة إلى أنّ في القرآن الكريم آيات كثيرة لم يُخصّص فيها الخطاب للمرأة وحدها، بل اشتركت مع الرّجل في مقامات لا تتطلّب التّمييز بينهما كالعقيدة والأخلاق وغيرهما... ولذلك فإنّنا نجد أنواعا عديدة من الخطابات المختلفة أغراضُها كانت فيها المرأة العنصرَ المقصود دون غيرها، نذكر منها:

• **خطاب الأمر:** تكرّر هذا النّوع في مواضع كثيرة وتنوّعت أساليبه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يا مريم اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الرّاكعين﴾ الآية 43 من سورة آل عمران.

• **خطاب التّكريم:** ورد في قوله تعالى: ﴿يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾الآية 32 من سورة الأحزاب.

• **خطاب السّخرية:** ورد في تهكّم النّسوة على امرأة العزيز حين سمعن بإعجابها بسيّدنا يوسف وحبّها له، قال تعالى على لسان النّسوة:﴿وقال نسوة المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبّا إنّا لنراها في ضلال مبين﴾الآية 30 من سورة يوسف.

• **خطاب التّهديد:** ورد في ردّ امرأة العزيز على تلك النّسوة وإخبارها إيّاهنّ بمصير يوسف عليه السّلام إن لم يرضخ لها، قال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿قالت فذلك الّذي لمتنّني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليُسجننّ وليكونًا من الصّاغرين﴾الآية 32 من سورة يوسف.

---

(1) ماجدة غضبان وماجد الغرباوي، المرأة والقرآن: حوار في إشكاليات التّشريع، ط1، شركة العارف للأعمال، ، لبنان، 2015، ص15.

(2)عبد العزيز عزت الخياط، المرأة ومن ترعاه في رحاب القرآن أسرة وطفلا، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ، القاهرة، 2010، ص14.

• **خطاب الالتماس:** ويظهر في قوله تعالى:﴿ **قالت** إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين﴾الآية 26 من سورة القصص.

• **خطاب إظهار التّحسّر والضّعف:** قال تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿إذ قالت امرأت عمران ربّ إنّي نذرت لك ما في بطني محرّرا فتقبّل منّي إنّك السّميع العليم(35) فلمّا وضعتها قالت ربّ إنّي وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذّكر كالأنثى وإنّي سمّيتها مريم وإنّي أعيذها بك وذرّيتها من الشّيطان الرّجيم(36)﴾ الآيتان 35، 36 من سورة آل عمران.

• **خطاب التّشريف:** بيّن الله كيف طهّر مريم عليها السّلام واختارها من بين نساء العالمين ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾الآية 42 من سورة آل عمران.

• **خطاب التّجريم:** ورد على لسان قوم مريم عليها السّلام حين اتّهموها بالعار، وافتروا عليها، قال تعالى:﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا(27) يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا(28) ﴾الآيتان 27، 28 من سورة مريم.

• **خطاب التّبرئة:** ورد في محاولة مريم العذراء تفسير استحالة إنجابها وهي غير متزوّجة، قال تعالى على لسان مريم:﴿قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنّما يقول له كن فيكون﴾الآية 47 من سورة آل عمران.

• **خطاب النّصح والإرشاد:** ووُظّف في هذا الخطاب أسلوبان اثنان هما الأمر والنّهي، حيث أوحي إلى أمّ موسى الّتي خافت على ابنها من فرعون أن تلقيه في البحر- مع وعدها بإرجاعه معافى-، قال الله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾الآية 7 من سورة القصص.

• **خطاب النّدم:** وورد حين اعترفت ملكة سبأ بظلمها لنفسها، فأعلنت إسلامها: ﴿قيل لها ادخلي الصّرح فلمّا رأته حسبته لجّة وكشفت أن ساقيها قال إنّه صرح ممرّد من قوارير قالت ربّ إنّي ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين﴾الآية 44 من سورة النمل.

3- الحجاج والبلاغة والإقناع

بعد اجتهادات كثيرة، ظهرت بلاغة جديدة تدعو إلى التّطوير والتّجديد، وذلك من أجل استحداث علم يدرس كلّ أنواع الخطاب انطلاقا من وصفه وتحليله، ومن ثمّ محاولة

الكشف عن الاستراتيجيّات الإقناعيّة فيه. وقد مثّل الحجاج آليّة من آليّات الإقناع وخاصيّة من خصائص الخطاب، إلّا أنه يبقى امتدادا طبيعيّا للبلاغة، حيث انبثق منها ونشأ بقواعدها واستفاد من أساليبها، فليس « الحجاج علمًا/ فنّا يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتمّ اقتراضها من البلاغة(ومن غيرها كالمنطق واللّغة العاديّة...) ولذلك فمن اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب، ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكّد والمتوقّع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجيّ أن يقوّي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغيّة والبيانيّة الّتي تظهر المعنى بطريقة أحلى وأوقع في النّفس»[1].

من هنا كان للبلاغة بفنونها المختلفة دور مهمّ في إيصال الفكرة، وإيضاح المعنى؛ إذ تمثّل الصّور البيّانيّة، والمحسّنات البديعيّة، والأساليب الإنشائيّة وسيلة يلجأ إليها المتكلّم من أجل اختراق عقل المتلقّي والتّأثير فيه، وبذلك يمكن اعتبار هذه الوسائل البلاغيّة حجاجا بلاغيّا ما دام هدفها إقناع المستمع أو المخاطَب بإثارة مشاعره وعواطفه تُجاه الفكرة المراد إيصالُها وترسيخها في الأذهان؛ وبالمقابل نجد عكس هذا في الحجاج الفلسفي حيث تبدو قيمته الحجاجيّة « في كون عمليّاته تتوخّى إفحام كلّ عقل مهيّأ للتّفكير العقلانيّ، ومن ثم فالطّريقة الفلسفيّة ليس هدفها التّأثير في الأشخاص، بل منح الأفكار قوّتها الإفحاميّة»[2].

ومنه فإنّ لكلّ خطاب مهما كان نوعه غرضًا محدّدًا وغايةً متوخّاةً، ويمثّل الإقناع أحد أهداف الخطاب الحجاجيّ، إذ يُعدّ استراتيجيّة يعتمدها المتكلّم من أجل تحقيق أهداف كثيرة فيوظّف من أجل ذلك «آليات متعدّدة و"حيلا" لغويّة مختلفة، منها ما يخاطب العواطف، ومنها ما يتعامل مع عقل المرسل إليه مثل الآليات الحجاجيّة الّتي يمكنه عن طريق البراعة فيها أن يتّخذ الأقوال أدلّة تُساق أمام المرسل إليه حتّى يقنعه»[3] فيسعى إلى تحقيق تلك الأهداف بالتّأثير في المتلقّي موظّفا آليّات ووسائلَ مختلفة تقوّي آراءه وأفكاره المطروحة. ولمّا كان الإقناع هدف الحجاج، فإنّ الصّلة وثيقة بينهما حيث يمكن أن نقول هنا إنّ كلّ نصّ حجاجيّ لابدّ أن يكون إقناعيّا «إنّ الإقناع هو غاية الحجاج، والحجاج ما هو إلّا

(1)صابر الحباشة، التّداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص، ص50.

(2) محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النّقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، لبنان، 2008، ص44.

(3)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب: مقاربة لغويّة تداوليّة، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة ، لبنان، 2004، من مقدّمة الكتاب.

وسيلة لتحقيق هذه الغاية»[1].

4- حجاجيّة الخطاب القرآني:

منذ نزول القرآن الكريم والأمّة تحاول فهم هذا الكلام المعجز. ولقد استطاع الخطاب القرآنيّ - ومازال كذلك إلى يومنا هذا- جَعْلَ اللّغويّين والمفسّرين وعلماء الدّين دؤوبين على تأليف الكتب الّتي تفسّره وتدرسه محاولين إبرازَ خصائصه الأسلوبيّة واللّغويّة والبلاغيّة وبيانَ أوجه الإعجاز فيه. ولمّا كان القرآن الكريم خطابًا موجّهًا إلى النّاس جميعا، فإنّه رام الإقناع والتّأثير، ذلك أن الخطاب على حدّ قول بنفنيست **BENVENISTE** «كلّ قول يفترض متكلّما وسامعا مع توافر مقصد التّأثير»[2]. وزيادة عن ذلك، فإنّ هدفَ الخطاب القرآنيّ هدايةُ النّاس إلى طريق الحقّ، بإقناعهم بما جاء فيه من أحكامٍ وشرائعَ وأوامرَ ونواهٍ، خاصّة وأنّ هناك من شكّك به وظلّ على معتقداته السّابقة. من هنا يمكن اعتبار الخطاب القرآنيّ خطابا حجاجيّا، لأنّه « مسرحٌ عليه تتحاور الذّوات وتتجادل ويحاجّ بعضها بعضا.»[3] أضف إلى ذلك تفوّقه بيانا وبلاغة، وسعيه إلى التّغيير في كلّ مكان وزمان، واستخدامه تقنياتٍ ووسائلَ من أجل النّفوذ في قرارة المتلقّي والتّأثير فيه « ليكون الخطاب أوغل في الحجاج وأذهبَ في الإقناع .»[4] لقد كثرت في هذا الخطاب الرّبّاني آليّات لغويّة ومنطقيّة وبلاغيّة « تتكرّر فيه تكرارا جعل منها خصائص أسلوبه المميّزة.»[5] ويمكن ذكر بعضها كالتّشبيه، والاستعارة، والطّباق والمقابلة، والرّوابط اللّغوية، والتّكرار وغيرها...

5- آليّات الحجاج في آيات القرآن الموجّهة إلى المرأة:

أوّلا: الآليّات البلاغيّة

تُكسب الآليّات البلاغيّة (الصّور البيانيّة والمحسّنات البديعية والأساليب الإنشائيّة) أيّ خطاب رونقا وجمالا، وزيادة عن ذلك فإنّ لها دورا حجاجيّا يتمثّل في استمالة المتلقّي

(1)عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج، (دط)، أفريقيا الشّرق، المغرب،2006 ، ص22.

(2)عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج ، ص41.

(3)المرجع نفسه، ص43.

(4)المرجع نفسه، ص74.

(5)المرجع نفسه، ص41.

والتّأثير فيه. من هنا فإنّ أهميّة هذه الوسائل البلاغيّة المختلفة تبرز« فيما توفّره للقول من جماليّة قادرة على تحريك وجدان المتلقّي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجماليّة إلى حجج متنوّعة وعلاقات حجاجيّة تربط بدقّة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلّم تحقيق غايته من الخطاب (...) أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العمليّة الإقناعيّة ويسّر على المتكلّم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقّي الفكريّة والشّعوريّة والفعل فيها.»[1] فالبلاغة إذن رافد أساسيّ من روافد الحجاج.

1- الاستعارة:

تؤدّي الاستعارة وظيفة الإقناع بالإضافة إلى وظيفة الإمتاع، حيث «تكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المرسل إليه إلى الاقتناع.»[2] وهي تمثّل إحدى الوسائل البلاغيّة الّتي تمتلك قوّة حجاجيّة بفضل قدرتها على تصوير الأشياء والتّعبير عن الواقع بشكل مغاير، فيصل بها المتكلّم إلى أهدافه في التأثير والإقناع. ومن أمثلتها في خطاب المرأة في القرآن الكريم:

قصّ الله تعالى نشأة مريم عليها السّلام فقال: ﴿فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريّا كلمّا دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾الآية 37 من سورة آل عمران. والاستعارة المكنيّة (أنبتها نباتا حسنا) حجّة على المشكّكين في عفّتها وحسن تربيتها، فهي كالشّجرة الطّيّبة المثمرة، ودحض لمزاعم اليهود حول نسب المسيح عليه السّلام.

2- الكناية:

تُعتبر الكناية وسيلة من وسائل الحجاج البلاغيّ الّتي لها قدرة على التّأثير والإقناع؛ ومن أمثلة ذلك التماس امرأة فرعون منه قبول التّكفّل بسيّدنا موسى عليه السّلام وعدم قتله، قال تعالى: ﴿وقالت امرأت فرعون قرّت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾ القصص الآية 9. والعبارة (قرّة عين لي ولك) كناية عن السّعادة والفرح، وتكمن طاقتها الحجاجيّة في المفارقة الموجودة بين عداء فرعون لموسى لأنّه من بني

(1)سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربيّ: بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن،2011، ص120.

(2)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب: مقاربة لغويّة تداوليّة، ص496.

إسرائيل، وبين اعتبار امرأته المؤمنة إيّاه سبب السّعادة.

3- التّشبيه:

يسهم التّشبيه في الجمع بين صورتين وعقد المقارنة بينهما في الإقناع، ويعني « تشكيل بنية واقعيّة تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات»[1]. وكلّما كان هنالك وجه شبه كان الإقناع أسهل، ومن أمثلته في خطاب المرأة في القرآن الكريم ما ورد في سورة يوسف، حيث صُورت الصّدمة التي أصابت نسوة المدينة حينما رأين سيّدنا يوسف–عليه السّلام- إذ قال عزّ وجلّ: ﴿فلمّا سمعت بمكرهنّ أرسلت إليهنّ وأعتدت لهنّ متّكئا وآتت كلّ واحدة منهنّ سكّينا وقالت اخرج عليهنّ فلمّا رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهنّ وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾الآية 31 من سورة يوسف. والتّشبيه البليغ (إنْ هذا إلا ملكٌ كريمٌ) حجّة تصبّ في صالح امرأة العزيز، حيث اعترفت النّسوة بسحر هذا الفتى وتأثيره عليهنّ، وفي الوقت نفسه حجّة لسيّدنا يوسف–عليه السّلام- بعفّته وطهارته لأنّه شبّه بملاك.

4- البديع:

تتجاوز المحسّنات البديعيّة دورها الجماليّ المعروف في تزيين وتنميق العبارة إلى دور مهمّ في الدّراسات اللّغويّة وهو الإقناع، حيث تُسهم في إيصال الفكرة إلى المتلقّي.

والطّباق والمقابلة من المحسّنات الّتي لها قيمة ظاهرة في الكلام، لأنّ المعنى يزداد وضوحا في كثير من الأحيان بإيراد المعنى مع ضدّه، وهذا «يثير انتباه السّامع للفكرة، فيشتدّ تقبّله لها لما بين التّفكير والتّعبير من انسجام»[2]. ومن أمثلة الطّباق قوله تعالى: ﴿قالت إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون﴾ الآية 34 من سورة النمل. وقد أدّى الطّباق (أعزّة ≠ أذلّة) وظيفة حجاجيّة وهي إقناع ملكة سبأ الجنود الذين كانوا على أهبة الاستعداد للحرب بالتّريّث لأنّ العدوّ مجهول والعواقب وخيمة.

ومن أمثلة المقابلة قوله تعالى:﴿قال هي راودتي عن نفسي وشهد شاهد أن كان قميصه قُدّمن قُبل فصدقت وهو من الكاذبين(26) وإن كان قميصه قدّ من قبل فكذبت وهو من الصّادقين﴾الآيتان 26، 27 من سورة يوسف. وقد وظّفت المقابلة (قبل≠ دبر، صدقت ≠ كذبت، الكاذبين≠ الصّادقين)، لخدمة حكم الشّاهد على الواقعة التي حدثت في بيت العزيز،

(1)سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربيّ: بنيته وأساليبه، ص252.

(2)عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربيّة،(دط)، منشورات جامعة قان يونس،بنغازي،1997، ص170.

وقد أدّت دور تأكيد الحقيقة، فظهرت براءة سيّدنا يوسف بعد تطبيق هذا الحكم.

5- الأساليب الإنشائيّة:

أُطلق على هذه الأساليب الإنشائيّة في الدّراسات التّداوليّة مصطلح الأفعال اللّغويّة لأنّها تصبح أفعالا بحدّ ذاتها بمجرّد التّلفّظ بها، وهي كذلك جمل لا يمكن الحكم عليها بالصّدق أو الكذب عكس الأساليب الخبريّة الّتي تحكي واقعا، أو تنقل حدثا. إنّها رافد من روافد الخطاب الحجاجيّ، ذلك أنّه «كثيرا ما تنبني الحجّة بأسلوب إنشائيّ وكثيرا ما تعضد الأساليب الإنشائيّة حججا...فلا تحتمل لذلك صدقا أو كذبا وإنّما تثير المشاعر وتشحن من ثمّة بطاقة حجاجيّة هامّة، لأنّ إثارة المشاعر ركيزة كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجيّ.»[1] وتؤدّي هذه الأساليب دورا مهمّا في العمليّة الحجاجيّة:

-الاستفهام: يمثّل الاستفهام فعلا لغويّا له أهمّيّة في الخطاب الحجاجيّ، « إذ لمّا كان الكلام إثارة السّؤال أو استدعاءً له فإنّه يولّد بالضّرورة نقاشا ومن ثمّة حجاجا... على هذا النّحو ندرك خطورة طرح الأسئلة في الخطاب. إنّها وسيلة هامّة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح.»[2] وتجدر الإشارة إلى أنّ الاستفهام في القرآن الكريم -أكثره- لم يكن غرضه انتظار الإجابة، فالله تعالى قد أراد من خلال الاستفهامات أغراضا بلاغيّة أخرى كانت لها وظائف حجاجيّة، وقد ورد هذا الأسلوب كثيرا في خطاب المرأة، نذكر على سبيل المثال قوله تعالى:﴿ قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيّا ﴾الآية 20 من سورة مريم. ونلاحظ أنّ غرض الاستفهام في السّؤال هو الإنكار، حيث أرادت مريم بسؤالها أن تقدّم الحجّة على أنّها عفيفة.

-الأمر والنّهي: يحرّك هذان الأسلوبان الإنشائيّان وجدان المتلقّي لأنّهما يحملان «معنى الدّعوة، ومن ثمّة تبدو صلتهما بالحجاج وثيقة لأنّهما يهدفان إلى توجيه المتلقّي إلى سلوك معيّن.»[3] ونجد هذين الفعلين اللّغويّين في مواضع عديدة منها:

- في قوله تعالى﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنّك كنت من الخاطئين﴾الآية 29 من سورة يوسف. وجاء الأمر هنا لإبراز حكم العزيز على المتّهمين حيث يتّضح أنّه

(1)سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، ص139، 140.

(2) المرجع نفسه ، ص141.

(3) المرجع نفسه ، ص149.

عادل، فأمر يوسف بكتمان الفضيحة ولم يغدر به، وأمر امرأته بالتّوبة ولم يقم عليها الحدّ، وقد أدّى أسلوب الأمر هنا وظيفة حجاجيّة وهي إقناع المتلقّي بطيبة عزيز مصر.

- وقوله تعالى :﴿ وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ الآية 7 من سورة القصص. ويبدو أسلوب النّهي (لا تخافي ولا تحزني)، قد أدّى وظيفة إقناع أمّ موسى بأنّ وليدها (موسى عليه السّلام) سيعود لها سالمًا.

6- تقسيم الكلّ إلى أجزائه:

ويكون حينما تقدّم الأطروحة بشكل عامّ ثم تُذكر تفاصيلها ودقائقها، ويعتبر كلّ تفصيل من هذه التّفاصيل دليلا قويّا على صحّة تلك الحجّة، إذ « يذكر المرسل حجّته كلّيّا في أوّل الأمر، ثمّ يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوّتها الحجاجيّة، فكلّ جزء منها بمثابة دليل على دعواه .»[1] وقد ورد هذا الحجاج في قوله تعالى:﴿يا نساء النّبيّ لستن كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا(32) وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزّكاة وأطعن اللّه ورسوله إنّما يريد اللّه ليُذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ الآيتان 32، 33 من سورة الأحزاب، ويمكن التّمثيل له كالآتي:

الأطروحة: التّقوى.

الحجة1: عدم الخضوع بالقول.
الحجّة2: المكوث في البيت.
الحجّة3: الالتزام بالحجاب الشّرعيّ.
الحجّة4: إقامة الصّلاة.
الحجّة5: إيتاء الزّكاة.
الحجّة6: طاعة اللّه ورسوله.

ونلاحظ أنّ كلّ حجّة من هذه الحجج تتكامل ليقوّي بعضها بعضا وتصبّ كلّ هذه العبادات في نتيجة واحدة هي التّقوى.

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب: مقاربة لغويّة تداوليّة، ص494.

ثانيا: الآليّات اللّغويّة

1- الرّوابط والعوامل الحجاجيّة:

هي من وسائل الحجاج التّداولي الّتي تعمل على ربط أجزاء النّص لتحقيق التّماسك والانسجام. ولا يمكن لأيّ لغة الاستغناء عن الرّوابط الحجاجيّة، واللّغة العربيّة كغيرها من اللّغات «تشتمل على عدد كبير من الرّوابط والعوامل الحجاجيّة الّتي لا يمكن تعريفها إلّا بالإحالة على قيمتها الحجاجيّة، نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتّى، لاسيّما، إذ، لأنّ، بما أنّ، مع ذلك، ربّما، تقريبا، إنّما، ما...إلّا...إلخ.»[1].

• **واو العطف:** من الرّوابط الّتي تقوم بالوصل بين الحجج بالإضافة إلى تقويتها، ومثل ذلك قوله عزّ من قائل: ﴿ فكلي واشربي وقرّي عينا فإمّا ترينّ من البشر أحدا فقولي إنّي نذرت للرّحمن صوما فلن أكلّم اليوم إنسيّا﴾الآية26 من سورة مريم. وقد أدّى واو العطف دورا حجاجيّا إذ ربط بين الأفعال التي تبعث على الطّمأنينة، بدلا من إحساس مريم العذراء بالخوف الشّديد من قومها وسوء تقديرهم لما حدث لها حينما وضعت هذا الصّبيّ.

• **الفاء:** تعمل على ترتيب الحجج والرّبط بين السّبب والنتيجة وهذا ما يؤدّي إلى إنشاء علاقة حجاجيّة تسمّى: علاقة التّتابع تقوم بالجمع «بين الفعل ونتائجه، وبين السّابق ولواحقه... ولذلك تبدو العلاقة التّتابعيّة ذات طاقة حجاجيّة هامّة»[2]. وقد ورد هذا الرّابط الحجاجي في قوله تعالى:﴿وإنّي مرسلة إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ الآية 35 من سورة النمل. وقد استعملت ملكة سبأ هذه الحجّة المكوّنة من مقدّمة (إنّي مرسلة إليهم هديّة)، ونتيجتها (ناظرة...) بأداة (الفاء)، لأنّ الملأ من قومها كانوا قد أخبروها أنّهم رهن إشارتها وعليها أن تختار بين الحرب والسّلم، فاختارت السّلم لأنّها لم تتبيّن العدوّ بعد.

• **أسلوب الشّرط:** إنّ المتكلّم «متى عمد إلى جملة شرطيّة تقوم على شرط وأداة وجواب فإنّه يجعل الشّرط يقتضي الجواب»[3]. ويوفّر أسلوب الشّرط علاقة تسمّى علاقة الاقتضاء وهي ذات طاقة حجاجيّة لأنّها « تصل الحجّة بالنّتيجة المرصودة للخطاب ولكنّها تتميّز عن

(1)أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص26.

(2) المرجع نفسه ، ص321.

(3)المرجع نفسه، ص 335.

كلّ علاقة بأنّها تجعل الحجّة تقتضي تلك النّتيجة اقتضاء والعكس صحيح.»[1] والجملة الشّرطيّة حاضرة بقوّة في خطاب المرأة. و نذكر على سبيل المثال قوله عزّ وجلّ :﴿ قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين (23) قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين(24)﴾الآيتان 23، 24 من سورة الأعراف. وقد عبّر آدم وحوّاء عن ندمهما من عصيان الله تعالى بأكلهما من الشّجرة. وأدّى استعمال أداة الشّرط (إن) وجملة الشّرط (لم تغفر لنا وترحمنا) وجواب الشّرط(لنكوننّ من الخاسرين) خدمة لحجّة المذنبين في التّوبة إلى الله تعالى، وربطا نجاتهما برحمته وعفوه.

ومن أمثلة الحجاج باستعمال أسلوب الشّرط قوله عزّ وجلّ:﴿ يا أيّها النّبيّ قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدّنيا وزينتها فتعالين أمتّعكنّ وأسرّحكنّ سراحا جميلا(28) وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدّار الآخرة فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجرا عظيما(29) يا نساء النّبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا(30) ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرّتين وأعتدنا لها رزقا كريما(31) يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا(32)﴾الآيات 28،29،30،31،32 من سورة الأحزاب. ونلاحظ عدّة جمل شرطيّة تؤدّي إلى أجوبة تعزّز في كلّ مرّة علوّ مرتبة أزواج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، إذ إنّهنّ لسن ككلّ النّساء. ويمكن القول إنّ استعمال أسلوب الشّرط يراد به هذا العهد بين الله وأزواج الرّسول، فإن وفّين به كان حجّة لهنّ، وإنّ خننه كان حجّة عليهن.

2- التّكرار:

يعدّ التّكرار رافدا من روافد الحجاج حيث يساعد على تثبيت الفكرة في ذهن المتلقّي وتأكيدها ومن ثمّ إقناعه بشكل أسرع، حيث إنّ إعادة ذكر الكلمة أو الجملة نفسها أكثر من مرّة من شأنه أن «يساعد أوّلا على التّبليغ والإفهام ويعين المتكلّم ثانيا على ترسيخ الرّأي أو الفكرة في الأذهان.»[2] وقد تكرّر أسلوب التّكرار كثيرا في القرآن الكريم، بأنواعه المختلفة: تكرار الحروف، وتكرار الكلمات، وكذلك تكرار العبارات؛ إنّه كما سبق ذكره يرفد الحجّة و« يوفّر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حمله

(1) أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج ، ص336.

(2)المرجع نفسه، ص 168.

على الإذعان.»[1]

نجد التّكرار في خطاب المرأة في قوله تعالى مثلا: ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾الآية 42 من سورة آل عمران. ونلاحظ أنّ تكرار الفعل (اصطفاك) هدفه إزالة أيّ شكّ في عفّة وطهارة السّيّدة مريم عليها السّلام، إذ إنّ الله جعلها من صفوة الصّفوة. ولهذا فإنّ التّكرار رافد ذو أهمّيّة في الحجاج.

كما نجده أيضا في قوله تعالى: ﴿فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريّا كلمّا دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند اللّه إنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب ﴾الآية 37 من سورة آل عمران. وقد تكرّرت لفظة (زكريا) للتّأكيد على أنّه هو من دخل على مريم وليس شخصا غريبا آخر.

ثالثا: الآليّات المنطقيّة

1- السّلّم الحجاجيّ:

السّلّم الحجاجي علاقة ترتيبيّة للحجج(مثلا ب، ج، د ...) تتعاضد حسب قوّتها لتؤدّي إلى نتيجة ما، و« يتّسم السّلّم الحجاجيّ بالسّمتين الآتيتين:

أ- كلّ قول يرد في درجة ما من درجات السّلّم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنّسبة لـ(ن).

إذا كان القول (ب) يؤدّي إلى نتيجة (ن) فهذا يستلزم أنّ (ج) الذي يعلوه درجة يؤدّي إليها، والعكس غير صحيح»[2]. والسّلّم الحجاجيّ عند (ديكرو) معناه أنّ « الحجج الّتي تنتمي إلى فئة واحدة ليست متساوية من حيث القوّة؛ ومن حيث درجة إقناعها للمخاطب، أو توجيهه إلى النّتيجة المرغوبة»[3]. ويمكن إسقاط السّلّم الحجاجي على أيّ خطاب حجاجيّ يعتمد أكثر من حجّة. ويمكن التّمثيل لذلك من خلال الآيات التالية:قال تعالى:﴿أن اقذفيه في اليمّ فليلقه اليمّ بالسّاحل يأخذه عدوّ لي وعدوّ له وألقيت عليك محبّة منّي ولتصنع على عيني﴾الآية 39 من سورة طه. فالمراد من كلام الله عزّ وجلّ ابتلاء أمّ موسى–عليه السّلام-

(1)أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص168.

(2) المرجع نفسه، ص101، 102.

(3)Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, édition Minuit, paris, 1980, p22.

واختبار إيمانها، إذ ألهمها بتنفيذ مجموعة من الأوامر تتدرّج قوّتها حسب السّلم الحجاجيّ:

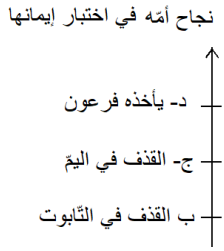

والملاحظ أنّ الحجّة (ب) في إثبات إيمان أمّ موسى أضعف من الحجّة (ج)، إذ إنّ وضعَ الرّضيع في صندوق وإخفاءَه أسهل من رميه في البحر، وكلتا الحجّتين أضعف من الحجّة (د) وهي وقوع الرّضيع بين يدي فرعون الطّاغية.

ونجد في مثال آخر قوله تعالى واصفا قوّة إيمان السّيّدة مريم عليها السّلام:﴿ومريم امرأت عمران الّتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين﴾الآية 12 من سورة التّحريم. ويظهر تفاوت الحجج من الأضعف (ب) وهي العفّة، ثمّ (ج) الإيمان بالوحي، ثمّ (د) القنوت لله. وكلّها تؤدّي إلى النّتيجة (ن) وهي أنّ مريم مؤمنة.

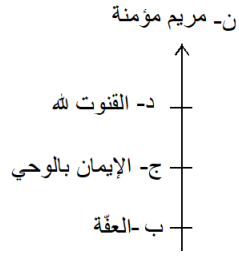

خاتمة:

في نهاية هذا البحث توصلنا إلى ما يلي:

-ارتبط الحجاج منذ نشأته بمصطلحات عديدة كالجدل والحوار...، تنضوي جميعُها تحت غاية واحدة وهي محاولة التّأثير في المتلقّي.

- يمكن اعتبار القرآن الكريم نصًّا حجاجيًّا كونه يخاطب العقل والوجدان، فهو رسالة موجّهة للنّاس أجمعين، قصد هدايتهم بالتّأثير فيهم وإقناعهم بأحكامه وشرائعه.

.توجد علاقة وطيدة بين الحجاج والإقناع، فالأوّل وسيلة لتحقيق الثّاني.

.سعى الخطاب القرآنيّ إلى الإقناع بوسائل وآليّات حجاجيّة مختلفة أسهمت في التّأثير في كلّ قارئٍ إيّاه، وهذا من خلال دعوته إلى التّدبّر والتّمعّن والتّفكّر في معانيه ومضامينه. ولقد توفّر خطاب المرأة على استراتيجيّات حجاجيّة عديدة منها: البلاغيّة كالاستعارة والكناية وتقسيم الكلّ إلى أجزائه والطّباق والمقابلة، واللّغويّة كالرّوابط الحجاجيّة.

. أدّت الرّوابط الحجاجيّة وظيفة الرّبط بين الحجج والنّتائج،حيث أسهمت في تماسكها وترابطها فسهّلت إفهام المتلقّي وإقناعه، وأضفت طاقة حجاجيّة على الآيات القرآنيّة المذكورة أعلاه، ومن أهمّها في خطاب المرأة: الفاء، والواو.

. إنّ هذه الآيات المختارة مجرّد نموذج بسيط لما ورد في القرآن الكريم من تنوّع للخطابات الواردة في شأن المرأة (خطاب التّشريف، وخطاب التّكريم، وخطاب التّبرئة، وخطاب النّصح والإرشاد...)، وما هو إلّا دليلٌ على أنّ الله عزّ وجلّ قد منح المرأة مكانتها التي يمكن بفضلها الاعتزاز والإحساس بأنّها ذات قيمة في المجتمع المسلم. كيف لا وكثيرا ما نجد في القرآن العظيم حوارات بين الله عزّ وجل وبين النساء بالإلهام، بالإضافة إلى ذكره قصصا شخصيّاتها الرّئيسيّة نساءٌ مؤمنات ضربن أسمى الأمثال في الطّاعة والإيمان والأخلاق.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)

الكتب العربيّة:

1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطّبع، 2006.

2) أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، ط1، القاهرة، 2008.

3) سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربيّ: بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن،2011.

4) صابر الحباشة، التّداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص، ط1، صفحات للدّراسات والنّشر، دمشق، 2008.

5) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج، أفريقيا الشّرق، المغرب،2006.

6) عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربيّة، (دط)، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، 1997.
7) عبد العزيز عزت الخياط، المرأة ومن ترعاه في رحاب القرآن أسرة وطفلا، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
8) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، ط1، منشورات كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، تونس، 2001.
9) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب: مقاربة لغويّة تداوليّة، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، لبنان، 2004.
10) لويس معلوف، المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت.
11) ماجدة غضبان وماجد الغرباوي، المرأة والقرآن: حوار في إشكاليات التّشريع، ط1، شركة العارف للأعمال، لبنان، 2015.
12) محمّد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ج9،ط1، دار صادر، تح: عبد السلام محمّد هارون، بيروت،1997.
13) محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النّقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، لبنان، 2008.

الكتب الأجنبيّة:

1) Chaim Perelman et Lucie Olbrechts tyteca, Traité de l'argumentation, 5ème édition,1992.
2) Chaim Perelman, l'empire rhétorique : rhétorique et argumentation, 2ème édition, Paris, 2002.
3) Christian Plantin, Essais sur l'argumentation : Introduction linguistique à l'étude de la parole argumentative, édition Kime, 1990
4) Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, édition Minuit, paris, 1980.